

## شرح الأصول الثلاثة

للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

أعدّه الشيخ الدكتور /

عمر بن محمد علي بن محمد خير كبوشية

حفظه الله تعالى

قدّم له الشيخ الدكتور أبو العالية فخر الدين بن الزبير المحسي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ فخر الدين بن الزبير المحسي  
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه أما بعد  
فان أجل العلوم قدرا، وأعظمها أجرا، هو العلم بالله تعالى، وحقوقه التي بينها في وحيه، ونقلها  
رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته .  
ولذلك كانت أسئلة العبد في قبره عن ربه ودينه ونبيه . ومتن الاصول الثلاثة للإمام محمد بن عبد  
الوهاب جمع أصول ذلك ومعالمه بجلال المعاني مع اختصار المباني حتى غدا مشتهراً بين  
القاصي والداني .  
وقد قام الأخ الكريم فضيلة الشيخ عمر محمد كبوشية - وفقه الله لما يحبه ويرضاه - بتجلية  
مباحثه، وتحليلته بأدلته، في هذا الشرح المنيف، الجامع اللطيف، فأسأل الله أن يتقبله بقبول  
حسن وأن ينفع به كما نفع بأصله والحمد لله أولاً واخراً  
كتبه :

د. فخر الدين الزبير

كلية الدراسات القضائية والأنظمة

جامعة ام القرى - مكة المكرمة

13/ ربيع الثاني / 1439 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله

وصحبه وسلالة ، وبعد :-

فإن أجل العلوم قدراً ، وأعظمها أجراً : هو العلم بالله تعالى وحقوقه التي بيّنها في وحيه ، ونقلها رسوله صلى الله عليه وآله في سنته .

ولذلك كانت أسئلة العبد في قلوب عن ربه ودينه وبيده .

ومنى الأصول الفقه الإمام محمد بن عبد الوهاب جمع أصول ذلك

ومعالمه بجملة تلخيص مع اختصار المباني حتى

غداً مشتهراً بين القاصي والداني

وقد قام الأخ الكريم فضيلة الشيخ عمر محمد كيو سيدة

وفقه الله لا يوجب ورضاه + بتجلية صياحه ،

و تكثيره بأدلة ، في هذا الشرح المبين ، الجليل اللطيف .

فأسأل الله أن يتقبله بقبول حسن ، وأن ينفع به

كل نفع بأصله . والحمد لله أولاً وأخيراً .

كتبه

د. فخر الدين الزبير  
كاتبه - الأستاذ المساعد  
جامعة أم القرى - مكة المكرمة  
١٣/١٠/١٤٣٩ هـ

## مقدمة الشارح

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل، فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب]

أما بعد

لقد تقرر عند أهل العلم وطلبته بل وعند كل مسلم أنه لا سبيل لعودة الأمة إلى مجدها وعزتها إلا بعودتها إلى كتاب ربها وسنة نبيها وقد أخبرنا الله ومن أصدق من الله قيلاً أن ظهور دينه إنما يكون بالعلم النافع والعمل الصالح قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة الصف] وأول ما يُصحح من العلم وأول ما يُصلح من العمل هو معتقد العبد لهذا كانت جل كتب الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب في هذا الباب لأنه أدرك من أين يبدأ الإصلاح وأين هو موضع الخلل وليس هو مبتدعاً للطريق بل سالكا سبيل المصلح الأول في هذه الأمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن أردت إصلاح نفسك وأمتك فمن هنا حيث بدأ المصلحون المخلصون ومن تذوق كتب الإمام أو شم رائحتها وجدها متميزة من بين ما كتب الناس بسهولة وأهميتها وكثرة أدلتها وشفقة كاتبها ورحمته وغير ذلك وقد شرفني الله بكتابة شرح على بعض كتبه ومن جملة ذلك هذا الكتاب الذي هو جواب أسئلة القبر الثلاثة فأدم المذاكرة لهذا الكتاب والاهتمام بالتوحيد فإنَّ الامتحان وإن كان مكشوفة أسئلته فإنه لا يُدرى وقته فإنَّ المباغتة بالسؤال قد تكون سبباً لذهاب الجواب خاصة عند هول المطالع ولكن ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم]

قال النجدي في مقدمة حاشيته على ثلاثة الأصول مبينا أهمية الكتاب: إنَّ ثلاثة الأصول لشيخ الإسلام والمسلمين مجدد الدعوة والدين، محمد بن عبد الوهاب -أجزل الله له الثواب- قد جد الناس في حفظها لعظم نفعها، وتشوقت النفوس لبيان معانيها لرصانة مبانيها

وقال مبينا موضوع الكتاب قررت ثلاثة الأصول توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، والولاء والبراء، وهذا هو حقيقة دين الإسلام أ.هـ .

وقبل الشروع في شرح الكتاب هذه ترجمة مختصرة لهذا الجبل الشامخ لا تفني ببعض حقه علينا الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله(1):

اسمه: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن محمد الوهبي التميمي.

**مولده:** ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مدينة العيينة سنة 1115هـ.

**أسرته:** نشأ الشيخ في أسرة معروفة بالعلم، فجدّه سليمان بن علي أشهر العلماء في عصره، وعمه إبراهيم عالمٌ جليلٌ، ووالده كان ذا باعٍ طويل في الفقه، بقي قاضياً مدة طويلة في العيينة.

**نشأته:** كان الشيخ -رحمه الله- منذ نعومة أظفاره متفوقاً في الذكاء، وقد حفظ القرآن الكريم وعمره أقل من عشر سنين، ثم درس الفقه الحنبلي على والده، وقد أعجب والده بذكائه الطامح ومواهبه، بلغ مبلغ الرجال وهو ابنُ اثني عشر عاماً، وزوجه أبوه في العام نفسه، ثم أدى فريضة الحج، وأقام شهرين بالمدينة النبوية، ثم رحل واشتغل بطلب العلم حتى أنه كان يكتب عشرين صفحة في جلسة واحدة.

**رحلته في طلب العلم:** قصد الشيخ -رحمه الله- الحجاز وهو في العشرين من عمره، وخطَّ رحاله بالمسجد النبوي، واستفاد من الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف، ثم تعرّف -رحمه الله- بالشيخ محمد حياة السندي، وكان من علماء الحديث، وأخذ الكتب الستة مرتين، مرة عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم، ومرة عن الشيخ محمد حياة السندي.

وهو في مثالي الطلب كان -رحمه الله- مؤلّعاً بالدعوة إلى الله، وكان ينكر ما يراه من البدع عند الحجرة النبوية، ثم رحل إلى البصرة في دراسة العربية، فدرس هنالك على الشيخ محمد المجموعي، ولما كان نَهَاءً عن المنكر طرده الأتقياء من البصرة في وقت الظهيرة، فخرج منها ولقيه في الطريق رجل اسمه أبو حميدان، فأركبه حماراً له حتى أوصله إلى مدينة الزبير، وكان يريد الشام طلباً للعلم لكن نفذ المال الذي عنده فرجع إلى حُرَيْمِلَاء وهو عازم على نشر التوحيد واستئصال البدع.

**أبرز سمات عصر الشيخ:** كانت بلاد نجد قبائل ودويلات متنافرة ومتناحرة، وكان الجهل متفشياً والشرك منتشرًا، والخرافة ضاربة بأطنابها في جميع نواحي الجزيرة.

وكانت كل مدينة فيها تتبع لأمير فعزم الشيخ على توحيد البلاد حتى يساعد ذلك على نشر الدعوة، هذه الأفكار دعتّه إلى مكاتبة أمير العيينة عثمان بن معمر ولما وجد الأمير مستعداً انتقل إليه بنفسه

---

(1) انظر كتاب: (( محمد بن عبد الوهاب مُصلِحٌ مظلوم ومُفتَرى عليه ))، تأليف الأستاذ: مسعود النَّدَوِي، ترجمة وتعليق: عبد العليم عبد العظيم البُستوي، مراجعة وتقديم الدكتور: محمد تقي الدين الهلالي، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد عام: 1420هـ.

فأكرمه، وتزوج الشيخ بجمهرة بنت عبد الله بن معمر، فتوطدت العلاقة بينهما أكثر، وقال الشيخ للأمير: (إني لأرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهر الله تعالى، وتملك نجداً وأعرابها). أبدى عثمان بن معمر الموافقة في أول الأمر ثم إنّه تراجع لما كاتبه بنو خالد في ذلك - وكانوا ملوك الإقليم - عندما سمعوا بدعوة الشيخ، وكان السبب في ذلك أنه هدم قبة يقولون أنها كانت على قبر زيد بن الخطاب، ورجم زانية محصنة فأحدثت له هاتان القصتان صيباً، كل ذلك كان بموافقة الأمير عثمان بن معمر.

ولما أصغى عثمان بن معمر لملوك الإقليم تردد كثيراً في أمر الشيخ فأثر أن يطرده من البلد، وقد أوعز إليه ملوك الإقليم بأن يقتله لكنه اكتفى بطرده، وأرسل إليه رسالة يأمره فيها بالخروج، فخرج الشيخ مع جندي يسمى فريداً الظفيري، مشى الشيخ راجلاً والجندي وراءه راكباً وهو يردد قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ﴾ [سورة الطلاق].

توجه الشيخ بعد ذلك إلى الدرعية ونزل عند عبد الله بن عبد الرحمن بن سويلم أحد أعيانها، وهو هناك في بيت أم سويلم كان يأتيه مشاري وثنيان أخوا محمد بن سعود أمير الدرعية، وصار بيت أم سويلم هذا مركزاً لدعوة التوحيد، وكان الناس يؤمنونه متسترين، ثم عزم الشيخ أن يتصل بالأمير فكلّم إخوته، فكلّم زوجته الأمير وكانت امرأة زكية متدينة، فقالت للأمير: (إنّ هذا الرجل أتى إليك وهو غنيمة ساقها الله لك فأكرّمه وعظّمه واغتنم نصرته)، ولما لقي الأمير الشيخ عرض عليه الشيخ أهم أصول دعوته وبشره الأمير بالنصرة لكنه اشترط شرطين:

**الأول:** إذا قمنا بنصرتك وفتح الله عليك البلاد ألا ترحل عنا.

**الثاني:** أن لي على الدرعية قانوناً آخذه منهم وقت الثمار فأخاف أن تمنعني من أخذه.

فبايعه الشيخ على الأولى وقال: "أما الثانية فلعلّ الله أن يفتح عليك ما هو خير منها".

فاجتمعت الحجة والبرهان والسيوف والسنان فظهرت دعوة التوحيد التي نجني بعض ثمارها الآن.

**مؤلفات الشيخ :** له مؤلفات كثيرة ،منها:-

- 1 - كتاب التوحيد.
- 2 - كشف الشبهات.
- 3 - الأصول الثلاثة -وهي التي نحن بصدد شرحها-
- 4 - القواعد الأربعة.
- 5 - شروط الصلاة وأركانها.
- 6 - أصول الإيمان.

7 - فضل الإسلام.

8 - الكبائر.

9 - نصيحة المسلمين.

10 - ستة مواضع من السيرة.

11 - تفسير الفاتحة.

12 - مسائل الجاهلية.

13 - مختصر زاد المعاد.

تمتاز مؤلفات الشيخ بمميزات كثيرة أهمها:

1 - سهولة عباراتها.

2 - كثرة أدلتها.

3 - أهمية مواضيعها.

4 - اختصار مادتها.

ثناء العلماء عليه :

من أثنى على الشيخ الإمام الصنعائي رحمه الله <sup>(1)</sup> صاحب كتاب سبل السلام في قصيدة طويلة <sup>(2)</sup> يقول في مطلعها:

سلامي على نجدٍ ومن حلّ في نجدٍ \*\*\* وإن كان تسليمي من البعد لا يُجدي  
إلي أن قال:

وثانيهما الشيخ الإمام محمد \*\*\* بدا في رُبا نجدٍ ضياءً لمستهدي

فجدّد دينَ الله بعدَ دثوره \*\*\* فزال ظلامُ الشرك والفتنة المُردّي

زهده وتعبدّه وقلما تقرأ ترجمة مجدد غير مجرى التاريخ أو مصلح أصلح الله به البلاد والعباد إلا وجدته

متصفا بصفتين الأولى أن يكون من أهل الليل فإن المصلح يصلح شأنه قبل إصلاح الآخرين تقوى صلته

بمن أزمة الأمور بيده فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقيام الليل لما حمله دعوة التوحيد ﴿قُرْآنَ الْإِنشَاقِ﴾

(1) ولد بصنعاء سنة 1099هـ وتوفي في شعبان سنة 1182هـ، وكان إماماً جليلاً، له المؤلفات الكثيرة النافعة، منها " سبل السلام شرح

بلوغ المرام " و " منحة الغفار على ضوء النهار " و " العدة على شرح العمدة " لابن دقيق العيد، و " شرح التنقيح في علوم الحديث " .

(2) قال في الشيخ -رحمه الله- وهي تسعة وثلاثون بيتاً مذكورة بتمامها في كتاب " عنوان المجدد في تاريخ نجد " في حوادث سنة 1206هـ،

ج1، ص: 95.

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾

سورة المزمل قال عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن  
"كان الشيخ — رحمه الله — متعبداً يحبي غالب الليل صلاة قراءة وتهجداً وكان — رحمه  
الله — " (1)

قلت الخلة الثانية من صفات المصلحين العفة والزهد فإن النفوس جبلت على محبة من يؤثرها ولا ينافسها  
في محبوبها وقد قال عبد الرحمن بن عبد اللطيف " مع هذا متعففاً متورعاً لا يأكل من بيت المال إلا  
بالمعروف، وبيت المال في يده ورهن تصرفه، وكان سخياً جواداً" (2)

وفاة الشيخ رحمه الله: توفي الشيخ في شوال أو ذي القعدة سنة 1206 هـ.  
ورثاه الإمام الشوكاني (3) — رحمه الله — في قصيدة مطلعها:

مَصَابٌ دَهَى قَلْبِي فَأَذْكِي غَلَائِلِي \*\*\* وَأَصْمِي بِسَهْمِ الْاِفْتِجَاعِ مَقَاتِلِي  
مَصَابٌ بِهِ الدُّنْيَا قَدْ اغْبَرَّ وَجْهُهَا \*\*\* وَقَدْ شَمَخَتْ أَعْلَامُ قَوْمِ أَسَافِلِ  
لَقَدْ مَاتَ طَوْذُ الْعِلْمِ قُطْبَ رَحَى الْعِلْمِ \*\*\* وَمَرَكُزُ إِدْرَاكِ الْفَضُولِ الْأَفْضَلِ  
وَحَقُّ أَنْ نَشْرَعَ فِي كِتَابِنَا بَعْدَ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ الْمُخْتَصَرَةِ

---

(1) مشاهير علماء نجد 27

(2) المصدر السابق

(3) هو محمد بن علي بن الشوكاني فقيه مجتهد من كبار علماء صنعاء اليمن، ولد بمدينة شوكان ( من بلاد خولان باليمن ) ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة

1229 هـ ومات حاكماً بها.



قوله: ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ).

ابتداءً كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، واقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام في كتاباته.

(بِسْمِ): الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف مناسب للمقام.

(اللَّهُ): قال سيبويه: "أعرف المعارف"، لذلك تأتي الأسماء كلها تابعة له، وهو مشتق على الصحيح من الإله. (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ): اسمان دالان على اتصاف الله بالرحمة، فالأول يدلُّ بوزنه على سعة رحمته، والثاني يدلُّ على تعديها.

قوله: ( اَعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلٍ ).

(اعْلَمْ): كلمة يؤتى بها للتنبيه على أهمية ما بعدها كقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٩٤) ﴿سورة البقرة﴾. (رَحِمَكَ اللَّهُ) جملة اعتراضية دعائية معناها: غفر الله لك ما مضى من ذنبك، ووقاك السيئات فيما بقي من عمرك. وفيها: رفق الشيخ بالطالب، والداعية بالمدعو (أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا): الواجب: ما أمر به الشارع أمراً جازماً (تَعَلُّمُ): هذا الوزن يدلُّ على التكلف والتدريج؛ لأنَّ العلم يؤخذ شيئاً فشيئاً مع بذل الجهد فيه. (أَرْبَعِ مَسَائِلٍ): عدَّ ابن القيم هذه المسائل في مراتب جهاد النفس.

قوله: (المسألة الأولى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ)

الْعِلْمُ قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله تعالى: "إنَّ الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل" [نقله ابن القيم في إعلام الموقعين 7/1]. وقال ابن القيم رحمه الله:

والعلم معرفة الهدى بدليله \*\*\* ما ذاك والتقليد مستويان [في نونيته 99/1].

وقال -أيضاً-: ( فليس العلم في الحقيقة إلا ما أخبرت به الرسل عن الله طلباً وخبراً، فهو المرْكبي للنفوس المكمل للفطر، المُصَحَّح للعقول الذي خصه الله باسم العلم وسمَّى ما عارض ظناً لا يغني من الحق شيئاً وخرصاً وكذباً ) [الصواعق المرسله 876/3].

(وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ): هذا الحد هو حدُّ العلم العيني، وحده بعضهم بقوله: "هو ما صحت به عقيدة العبد وعبادته ومعاملته التي لا بد له منها"، وما سوى ذلك فهو كفائي.

قوله: (المسألة الثانية: الْعَمَلُ بِهِ) العمل هو غاية العلم وثمرته قال تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَصْحَابِ لَيْنٍ ۝٧﴾ الفاتحة. غضب الله عليهم؛ لأنهم علموا ولم يعملوا. وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين: (أول من تسعر بهم النار ثلاثة فذكر منهم قاريء) ووجه الاستشهاد بالحديث أنه لم يعمل بعلمه؛ لأن العلم يأمر بالإخلاص.

وقال بعضهم : وعالمٌ بعلمه لم يعملن \*\*\* معذبٌ من قبل عباد الوثن  
قوله: (المسألة الثالثة: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ ) ويطلق عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء النصيحة.

قواعد في الدعوة إلى الله:

الأولى: التحقق من وقوع المنكر قبل إنكاره، أو انتفاء المعروف قبل الأمر به ويدلُّ على ذلك حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة فقال : "أصليت يا فلان؟". قال الرجل : لا ، فقال له : "قم فاركع ركعتين ". [رواه البخاري ومسلم].  
الثانية: العلم بالمنكر أنه منكر وبالمعروف أنه معروف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝٣٦﴾ [سورة الإسراء].

الثالثة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحكمة، لقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجِدْ لَهُم مَّا تَلْتَمِذُونَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾ [سورة النحل].

الرابعة: قيام الداعية بالمعروف الذي يأمر به، وتركه المنكر الذي ينهى عنه. لقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة].

والدعوة إلى الله جل وعلا واجبة قال تعالى : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [سورة آل عمران] . ومن السنة : حديث أبي سعيد في صحيح مسلم: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من رأى منكماً منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"

والدعوة إلى الله لها فضائل كثيرة في القرآن والسنة منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت] . قال الحسن البصري في تفسير هذه الآية: (هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله أجاب الله

في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين ، هذا خليفة الله ( . [تفسير ابن كثير 180/7] . ومن السنة قول النبي عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النّعم ) [متفق عليه] .

قوله: (المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ ) المسائل الثلاثة كلها تحتاج إلى هذه المنزلة وهي الصبر . والصبر لغة: الحبس . وشرعاً: هو حبس النفس عن التسخط، واللسان عن التشكي، والجوارح عن معصية الله . والصبر واجب بالكتاب والسنة والإجماع . وقال بعض أهل العلم: (أكمل الخلق أصبرهم، فما نقص أحدٌ من كماله الممكن إلا بضعف صبره) ، وقال إبراهيم الخوَّاص: (الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة) . [عدة الصابرين لابن القيم ص 17] .

### فضل الصبر

قال الله تعالى في فضل الصابرين: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة] ، فيكفي الصابرين فخراً أن الله معهم والمعية هنا خاصة تقتضي النصرة والتأييد . وقال تعالى في بيان عظم ثواب الصبر: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة] ، فإذا كان من يعطى أجره بحساب يضاعف له إلى سبعمائة ضعف، فما بال من يعطى أجره بغير حساب! وقد جعله الله من أسباب الهداية والرحمة وصلاة الله على عبده فقال ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة] ، وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ ﴾ [البقرة]

والصبر ثلاثة أقسام: الأول: صبرٌ على الأقدار المؤلمة، ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة] ، وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ ﴾ [البقرة] . الثاني: صبرٌ على الطاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: 123] . الثالث: صبرٌ عن المعاصي، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف]

ومما يعين على الصبر:

أولاً: معرفة الثمار الطيبة والعواقب الحميدة ، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف] .

ثانياً: الدعاء والاستعانة بالله ، قال تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل] .

ثالثاً: وما يعين على الصبر عن المعاصي ملاحظة النعم قال الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام ﴿ إِنَّهُ رَفِيعَ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ [يوسف:23].

رابعاً: النظر في سير الصالحين قال تعالى ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:35]

قوله : (والدليل) وفي قرن الأحكام بأدلتها ثلاث فوائد تربية الطالب على الاتباع لا التقليد وتعلمه الاحتجاج على المخالف وتعلمه استنباط الاحكام من أدلتها قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [سورة العصر] . (والعصر) الواو: واو القسم. العصر: قيل: هو الدهر، وقيل: وقت صلاة العصر، وقيل: الصلاة نفسها، ولا تعارض بينها، فيحمل على المعاني كلها. وعلى كل فيدل القسم على أهمية الوقت ( إِنَّ الْإِنْسَانَ ) : إِنَّ : حرف توكيد ونصب. الْإِنْسَانُ : أل في الإنسان تفيد العموم.(لَفِي خُسْرٍ) لَفِي : اللام: مزحلقة وفائدتها التوكيد. فهذا الخبر مؤكد بثلاث مؤكدات: القسم وإنَّ واللام. والخُسْرُ والخُسْرَان والخسارة معناها واحدٌ وهو تفويت العبد مصالحه الدينية والدينية. (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ) : إلّا: حرف استثناء، وهذا دليل للمسألة الأولى من باب دلالة اللزوم، يعني: الإيمان يستلزم العلم. (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) هذا دليل للمسألة الثانية من باب دلالة المطابقة. ( وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ) هذا دليل للمسألة الثالثة، وهو أيضاً من باب دلالة المطابقة ؛ لأن التواصي بالحق هو الدعوة إلى الله.(وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) هذا دليل للمسألة الرابعة من باب دلالة المطابقة —أيضاً—

قوله: (قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ لَكَفَتْهُمْ ).

(الشَّافِعِيُّ) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي، يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده عبد المطلب، ولد سنة 150هـ، ومات سنة 204هـ.

(لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ لَكَفَتْهُمْ ) مراده بالكفاية: أي الكفاية في بيان أسباب الخسران والنجاة؛ إذ أنّها لا تغني عن غيرها في الأبواب الأخرى لا سيّما الأحكام والحدود.

قوله: (وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ "قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ").

(الْبُخَارِيُّ) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة البخاري، ولد سنة 194هـ ومات سنة 256هـ، وقال عنه ابن حجر في التقریب: (جبل الحفظ، وإمام الدنيا).

(بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ) عقد هذا الباب في كتاب العلم من الصحيح؛ ليبين أهمية العلم، وأن واجب الجاهل هو السكوت والكف عن العمل حتى يتعلم.

(وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ). وجه الاستشهاد بالآية أن الله أمر بالعلم أولاً ثم ذكر الاستغفار وهو من عمل اللسان.

قال ابن القيم رحمه الله: "فَجَهَّادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبٍ أَيْضًا: إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيتَ فِي الدَّارَيْنِ. الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَصُرْهَا لَمْ يَنْفَعَهَا. الثَّالِثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ. فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعِ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ، فَإِنَّ السَّلَفَ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ، فَمَنْ عِلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ". [زاد المعاد 9/3]

قوله: ( اَعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعْلُمُ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَسَائِلَ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ: ) . (اعْلَمْ): كلمة يؤتى بها للتنبيه على أهمية ما بعدها كقوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة . (رَحِمَكَ اللَّهُ): جملة اعتراضية دعائية، ومعناها: غفر الله لك ما مضى من ذنبك، ووقاك السيئات فيما بقي من عمرك. وفيها: رفق الشيخ بالطالب، والداعية بالمدعو. (أَنَّهُ يَجِبُ): الوجوب هنا عيني لقوله: ( عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ). ودليل الوجوب حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]. (تَعْلُمُ): مضى أن هذا الوزن يدل على التكلف. قال ابن عبد القوي -رحمه الله-: ( فمن أَلِفَ السُّهَادَ وترك الوسادة والمهاد وجاب البلاد وحُرِّمَ الأهل والأولاد نال منه مراد، ومن طلب وجدَّ وجد، ومن قرع الباب وَلَجَّ وَلَجْجَ، ومن أَلِفَ السَّامَةَ والنوم لم ينل منال القوم، فإذا رأيت نفسك لا تنهض لنيل

العلوم ولا تدأب في إدراك المنطوق منها والمفهوم فاعلم أنك ممن استرذله الله وأبعده، واستحوذ عليه الشيطان وأقعده).

قوله: (الأولى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالِدَّلِيلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ۖ﴾ [المزمل: ١٦] . قوله: (أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا): الخلق هو الإيجاد من العدم على غير مثال سابق. (وَرَزَقَنَا): الرزق هو العطاء من غير مقابل. (وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا) هملًا أي: معطلين من غير مُرشد. (فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ): الطاعة: فعل الأوامر وترك النواهي، والمعصية بخلافها. ( فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ) وبيلًا أي: شديدًا مهلكًا ، ووجه الاستدلال بهذه الآية من باب القياس فكأنَّ المصنف يقول لنا: إِنَّ اللهَ أَرْسَلَ موسى عليه وعلى نبينا الصلاة و السلام فعصى فرعونُ رسولَ الله فأهلكه الله فلو عصيتُم رسولكم لأهلككم الله كما أهلك فرعون. والدليل على وجوب طاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم من السنة حديث أبي هريرة في البخاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي قيل: ومن يأبي يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وقد أشار رحمه الله بهذه المسألة لتوحيد الربوبية الذي هو برهان وتمهيد لتوحيد الألوهية وهو المسألة الثانية

قوله: (الثانية: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُّقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُّرْسَلٌ؛ وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ۖ﴾ [الجن: ١٨] . قوله: (أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ) دليل هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]

وفي الجملة أن الله يوصف بالرضا وعدمه، قال الطحاوي — رحمه الله—: (والله يغضب ويرضى لا كأحدٍ من الورى). (أَنَّ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ ): الشرك لغة: الحظ والنصيب، ومنه في [سورة سبأ] قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ۖ﴾ [الزمر: ٢٢] . وشرعاً: هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله. والدليل على هذا التعريف قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ۖ﴾ [الزمر: ١٧] إِذْ تُسَوِّكُم رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ﴾ [الشعراء: ١٨] . (أحد) نكرة في سياق النفي فتعم. وأكد هذا العموم بقوله: ( لَا مَلَكٌ مُّقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُّرْسَلٌ). هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى؛ فإذا لم يرض ربنا أن يشرك معه الملائكة المقربين ولا الأنبياء المرسلين فكيف يرضى أن يشرك معه سواهم (الْمَسَاجِدَ): إما أنها جمع مسجد أي: مواضع السجود، وهذا يشمل كل موضع يُسجد فيه لله لا سيما بيوت الله ، وقيل: المساجد أعضاء السجود

السبعة . و على كُـلِّ فـلـمـسـاجـد الـتي هـي الـأـمـكـنـة مـن مـلـك الـلـه، وأـعـضـاء السـجـود خـلـقـها الـلـه، فـلا يُـعـبـد بـها غـيـرُ الـلـه. فـكـيـف يُـعـبـد فـي مـلـك الـلـه غـيـرُ الـلـه وكيـف يُـعـبـد بـما خـلـق الـلـه غـيـرُ الـلـه

قوله: (الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالِدِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة]

(أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ) هذا ما تضمنته المسألة الأولى وهو الاتباع. (وَوَحَّدَ اللَّهَ) هذه المسألة الثانية وهي التوحيد. (لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ): مُوَالَاةٌ: أي محبة ونصرة. (حَادَّ اللَّهَ): محادة الله تعني مخالفته وهي نوعان: محادة بكفرٍ ومحادة بمعصية. فمن حَادَّ اللَّهَ ورسوله بمعصية فإنه يتبرأ من عمله فقط، ولا يتبرأ من العامل لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء] . ومن حَادَّ اللَّهَ ورسوله بكفرٍ فهذا يتبرأ من العامل نفسه ومن عمله لقوله ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الممتحنة: 4] . قوله: (لَا تَجِدُ قَوْمًا) قوماً: نكرة، والجمل بعد النكرات نعوت. فجملة: (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) نعت أول. وجملة:

(يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ): نعتٌ ثانٍ. والتقدير: لا تجد قوماً مؤمنين موادِّين من حَادَّ اللَّهَ ورسوله. أي: أن هذين الوصفين وهما الإيمان بالله واليوم الآخر ومودة الكافرين لا يجتمعان في قلب أحدٍ. والمنفي هنا هو كمال الإيمان الواجب لا أصل الإيمان فمودة الكافرين يأثم من كانت في قلبه ولا يكفر (وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ) آباء: تشمل الأب وإن علا (أَوْ أَبْنَاءَهُمْ) تشمل الابن وإن نزل (أَوْ إِخْوَانَهُمْ) يشمل كل أخ. (أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) العشيرة: هم بقية الأقارب. (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ) الإشارة لأهل الإيمان الذين لم توجد في قلوبهم مودة لمن حَادَّ اللَّهَ ورسوله. (كَتَبَ) أي: ثبت الإيمان في قلوبهم بسبب عقيدة الولاء والبراء. (وَأَيَّدَهُمْ) يعني قواهم. (بِرُوحٍ مِنْهُ) الروح هو القرآن. وسمي القرآن روحاً؛ لأنه به حياة القلوب. (مِنْهُ) من هنا ابتدائية. (وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ) مادة الجيم والنون المشددة حقيقتها الاستتار. (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) فصل الله هذه الأنهار في [سورة محمد: 15] بقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُؤْمِنُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ (خَالِدِينَ فِيهَا) جاء في البخاري في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ

يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴿ [مریم : 39] "أنه يؤتى بالموت على صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار، فيقال لأهل الجنة خلوداً بلا موت ولأهل النار خلوداً بلا موت". (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ): قال ابن كثير رحمه الله: "سر بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم". (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ): الحزب جماعة من الناس اتفقت أفكارهم، وهي لا تفيد ذماً ولا مدحاً بل بحسب الأفكار المتفق عليها. وأما الحزبية فمذمومة مطلقاً لأنها عقد الولاء والبراء على غير طاعة الله ورسوله.

ومن أبرز صفات حزب الله موالاته المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦]. (الْمَائِدَةُ): (أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ألا حرف تنبيه، وإن حرف توكيد، وهم ضمير فصل يفيد الحصر. فنبه وأكد وحصر الفلاح في حزب الله. (الْمُفْلِحُونَ) الفلاح كلمة جامعة لخيري الدنيا والآخرة، لا نظير لها في لغة العرب.

قوله: (اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]) (اعْلَمْ) كلمة يؤتى بها للتنبيه على أهمية ما بعدها كقوله تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤]. (أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ) جملة اعتراضية دعائية، معناها: وفقك الله للطاعة علماً وعملاً، وهذه هي الهداية التامة. (أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ) من الحنَف وهو لغة: الميل. وشرعاً: هي الإقبال على الله والإعراض عن سواه. (مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ): عطف بيان من الْحَنِيفِيَّةَ. (إِبْرَاهِيمَ): أبو الأنبياء، وقُدوة الحنفاء، خليل الرحمن. ومعنى قوله: (أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) عقيدته ودينه. قوله: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ) أَنْ: مصدرية، والمصدر المؤول خبر أَنْ، والتقدير: أن الحنيفية ملة إبراهيم عبادة الله وحده. (وَحْدَهُ) أي: منفرداً، وهي حال من الاسم العظيم. (مُخْلِصًا): أيضاً حال من فاعل تعبد وهو ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت. والإخلاص لغة: التصفية، تقول: خلصت العسل أي: صفيته من الشوائب. وشرعاً: قصد وجه الله بالعبادة. (لَهُ الدِّينَ) الدين هنا بمعنى العمل، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَذِيُفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ [سورة النور] أي: عملهم (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾) (الكاف في (كما) للتعليل وليست للتشبيه، أي: لأن الله قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (ما): نافية (خَلَقْتُ): الخلق هو الإيجاد من العدم على غير مثال سابق. (الْجِنَّ): مخلوقون من نار لقوله تعالى: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٧]. (الحجر): وسموا جنّاً لاستتارهم؛ لأنّ مادة الجيم والنون المشددة أصل حقيقتها الاستتار. (وَالْإِنْسَ): هم البشر سموا إنساً؛ لأنهم يأنس بعضهم لبعض. (إِلَّا):



حرف استثناء. (لِيَعْبُدُونَ): اللام للتعليل. يعبدون: التعبد هو التذلل لله بفعل أوامره وترك نواهيه. والنفي مع الاستثناء يفيد الحصر. فمعنى الآية: لم يخلق الله الجن والإنس لشيء غير العبادة. قوله: (وَمَعْنَى ﴿يَعْبُدُونَ﴾: يُؤَخِّدُونَ). هذا تفسير باللازم؛ لأنه قد مضى معنى العبادة، وإنما قال ذلك؛ لأن التوحيد شرط في العبادة، والعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد. قوله: (وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشَّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء : 36] ). (ما): نكرة بمعنى شيء. (التَّوْحِيدُ): لغة: مصدر وحد يوحد توحيداً، إذا اعتقد وحدانية الله، وشرعاً: إفراد الله بما يختص به. (وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ): والدليل على أن التوحيد أعظم شيء أمر الله به حديث ابن عباس في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: "فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله" وفي رواية "إلى أن يوحدوا الله". والتوحيد ثلاثة أقسام بدليل الاستقراء والتتبع لنصوص الشرع

الأول: توحيد الربوبية وهو إفراد الله بفعله، أي: بالخلق والملك والتدبير ودليل إفراد الله بالخلق قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر]، ودليل إفراد الله بالملك قوله تعالى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه]، ودليل إفراد الله بالتدبير قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف].

الثاني: توحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة. والعبادة: هي التذلل لله بفعل أوامره واجتناب نواهيه محبة وتعظيماً.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو إفراد الله بصفات الكمال ونعوت الجلال، ولا يكون هذا إلا بأن ثبت له ما أثبتته لنفسه في كتابه أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته ونفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على حد قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]، فنفت الآية المماثلة وأثبتت الصفات اللائقة به سبحانه، وهذه الآية قاعدة عند أهل السنة والجماعة في باب الصفات. وقد اجتمعت أنواع التوحيد الثلاثة في قول الله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم]. (وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ): هذا حدُّ توحيد العبادة خاصة، لأنه مقصود الكتاب. (وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشَّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ): إنما حصَّ الشرك هنا بالشرك في العبادة؛ لأنه مقصود الكتاب بيان توحيد العبادة وبيان ضده. والدليل على أن الشرك أعظم شيء نهي

الله عنه حديث أبي بكر رضي الله عنه في الصحيحين أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا: بلى، قال: الإشراك بالله" .

قوله: (( فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ )) . وجه كونها أصول أن الله لا يقبل الأعمال دونها. ((الأصول)): جمع أصل وهو لغة الأساس. (( الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ )): دليل الوجوب حديث البراء بن عازب في مسند أحمد في عذاب القبر: أن الملكين يسألانك: من ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيك؟

\*\*\*\*\*

### \* الأصل الأول : معرفة الرب \*

قوله: (( فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي، وَرَبِّيَ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] . وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ ). الربُّ لغة: هو السيد. وشرعاً: هو الخالق المالك المدبر(رَبَّنِي): من التربية وهي السمو بالشيء إلى درجة الكمال، ومنه تربية الأبناء، وهي السمو بهم إلى ما يصلحهم ديناً ودنيا. وتربية الله نوعان: الأولى: تربية عامة : وتكون بالرزق والتدبير، وهذه تشمل كل مخلوق. والثانية : تربية خاصة : وهذه تختص بأوليائه، وحقيقتها: الوقاية من السيئات، والتوفيق للخيرات. أفاده العلامة السعدي في "القواعد الحسان" . ( وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ ) : تشتمل الجملة على ركني التوحيد وهما النفي والإثبات. ( وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] ). ( الْحَمْدُ لِلَّهِ ) أل في الحمد للاستغراق. واللام في لفظ الجلالة للاستحقاق. فجميع المحامد حق لله تعالى. ومعنى الحمد: وصفُ الله بالكمال مع المحبة والتعظيم، فيحمد الله لكماله كقوله تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: 1] ، ويحمد لإنعامه كقوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: 1] . ( وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ ) والدليل على هذا من القرآن قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢٣] قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ [٢٤] [الشعراء]

قال عبد الله بن إبراهيم العلوي رحمه الله:

والعالمون ما سوى الغفور \*\*\* من كل موجودٍ على المشهور

قوله: ( فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ ) أي: بما عرفت وحدانيته وكماله. قوله: ( فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ ) : آيات جمع آية وهي لغة العلامة. وتنقسم آيات الله إلى كونية وشرعية:

الكونية: من مخلوقات الله ، والشرعية: كلامه وليست مخلوقة ، فالآيات أعم من المخلوقات، فيكون العطف هنا من عطف الخاص على العام. قوله: ( وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ ).. أي: انتظام الليل والنهار. قوله: ( وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا ).. (مَنْ): موصولة تفيد العموم. (وَمَا): موصولة تفيد العموم. فهذا يُعم كل شيء فيهما أو بينهما.

قوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت: 17))

[فصلت: 17]. ( لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ) : فيه تحريم السجود لغير الله بل هو شرك. ( وَاسْجُدُوا لِلَّهِ ) : فيه: التحلية بعد التحلية، فلا يكفي أن تترك عبادة غير الله، إذ لا بد من التبعيد والتذلل لله (الَّذِي خَلَقَهُنَّ) : فيه: إشارة إلى كمال قدرته، لذلك استحقَّ العبادة، كما فيه إشارة إلى فقر هذه المخلوقات. (إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) فيه: أن التوحيد شرط في العبادة، فإن عبادة غيره مع عبادته تعني: عدم التبعيد له.

قوله: ( وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54] . (إِنَّ رَبَّكُمُ) : فيه أن الربوبية برهان الألوهية. (الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) : جاء في السنة أن الله بدأ خلق السماوات يوم الأحد وفرغ منها يوم الجمعة. (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) الفعل استوى له ثلاث حالات: الأولى: أن يُعَدَّى بـ(إلى) فيكون معناه قصد وعمد، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصلت: 11] الثانية: أن يُعَدَّى بـ(على) فيكون معناه العلو والارتفاع، كما في هذه الآية. الثالثة: أن يتعدى بنفسه، فيكون معناه النضوج والكمال، كما قال تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ۖ ءَانِئَنَّهُ حَكَمًا وَعِلَمًا ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ [القصص] . (يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ): أي يغطي كل منهما الآخر. (يَطْلُبُهُ حَيْثُا): يعقبه سريعاً ليس بينهما فاصل. ( وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ ) أي: مذللات منقادات. ( بِأَمْرِهِ ): الأمر هنا الكوني. ( أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ) ( أَلَا ): حرف تنبيه. ( لَهُ ): جار ومجرور متعلق بخبر مقدم. ( الْخَلْقُ ): مبتدأ، فالخلق والأمر له وحده لأن تقدم ما حقه التأخير يفيد الحصر. والواو هنا واو عطف، والعطف يقتضي التغاير، فالخلق غير الأمر. وقد جاء أن القرآن من الأمر قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: 52] فدللت الآيتان على أن القرآن ليس بمخلوق. ( تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ) تبارك يعني تعاضم.

قوله: (وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ). بدلالة اللزوم، أي: يلزم من أنه رب أن يعبد. قوله: (( وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] ) قال أهل العلم عن هذه الآية أنها أول نداء في القرآن وهو (يا أيها الناس) واشتملت على أول أمر وهو (اعبدوا ربكم) أي وحدوه وعلى أول نهي وهو (فلا تجعلوا لله أندادا) ( يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ ): لما أمر بعبوديته ذكر بأفراد الربوبية، ومنها الخلق قال: ( الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ): أي خلقكم وخلق آباءكم. ( لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ): التقوى اتخاذ الوقاية من عذاب الله بفعل الأوامر وترك النواهي. (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ) أي: بساطاً ممهداً للسير فيها. ( وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ): أي سقفاً. (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) السماء هنا بمعنى السحاب ( فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ) الباء: سببية. (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ) الفاء فاء الفصيحة، أي: إذا علمتم أن الله وحده الذي خلق لكم هذه الأشياء فلا تجعلوا له أنداداً في عبادته. (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) الواو: واو الحال أي: والحال أنكم تعلمون أنه الخالق وحده لهذه الأشياء. قوله: ( قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ ). (ابْنُ كَثِيرٍ) هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، ولد سنة 700هـ، وتوفي سنة 774هـ، صاحب البداية والنهاية وتفسير القرآن العظيم، تلميذ ابن القيم وقبله ابن تيمية رحم الله الجميع. ( الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ ) نقل المؤلف رحمه الله هذا الكلام بمعناه ليس بلفظه. وقد ذكر ابن كثير <sup>(1)</sup> في تفسير هذه الآية حديثاً يزيد المعنى وضوحاً وهو

(1) تفسير ابن كثير، 77/1، المحقق: محمود حسن، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الطبعة الجديدة 1414هـ/1994م.

حديث الحارث الأشعري: ( إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أُولاهنَّ: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً فإن مثل ذلك كمثّل رجلٍ اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده فأيكّم يسره أن يكون عبده كذلك، وأن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً )<sup>(1)</sup>.

قوله: ( وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا مِثْلُ: الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ، وَالِاسْتِعَاذَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالتَّنْذِرُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا. كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى). ذكرها هنا جملة وبأني تفصيلها في أثناء الكتاب.

قال المصنف رحمه الله: (وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ( وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) [الجن: 18]. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ( وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ) [المؤمنون: 117]. وَفِي الْحَدِيثِ: ( الدُّعَاءُ مَخِ الْعِبَادَةِ ). وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ( وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ) [غافر: 60]

قوله: (وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: 18] هذه الآية سبق الكلام عليها، وهي عامة في النهي عن كلّ عبادة لغير الله . و(أحدًا) نكرة في سياق النهي فتعم كل أحد . قوله: ( فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: 117] ) أيضاً هذه الآية عامة في كل العبادات السابقة. (يَدْعُ مَعَ اللَّهِ) يعني يعبد (إِلَهًا) يعني معبوداً (آخَرَ) أي غير الله (لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) أي: لا حجة له على عبادة غير الله، وهذه الجملة تسمّى صفة كاشفة، فائدتها زيادة التشنيع ولا يستفاد منها التقييد؛ لأن كل من يدعو مع الله إلهاً آخر ليس له برهان. (فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) أي: جزائه عند ربه الذي خلقه وملكه وعبد معه غيره. ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ): أظهر (الفاعل) في مقام الإضمار ليبين الحكم وهو الكفر.

(1) أخرجه أحمد (17209)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (1724).

قوله: (وَفِي الْحَدِيثِ: "الدُّعَاءُ مَخِ الْعِبَادَةِ") هذا الحديث ضعيف، فيه ابن لهيعة وقد اختلط بآخره. وعند أهل السنن من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة". (هو): ضمير فصل يفيد الحصر، فحصر الدعاء في العبادة، أي لا عبادة غيره؛ لأن كل عابد إنما يدعو الله بلسان حاله أو لسان قاله. قوله: (وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] (وَقَالَ رَبُّكُمْ) فيه إثبات القول لله تعالى. (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) فيه تحقق الإجابة إذا حصل الدعاء. "وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء علمت أن الإجابة معه).

وفي هذا يقول القائل:

لو لم تُردْ بذل ما أرجو وأطلبه \*\*\* من جود كفك ما عودتني الطلبا "

[مدارج السالكين 103/3]

والدعاء قسمان: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

الأول دعاء المسألة: طلب الحاجة من الله دينية أو دنيوية. والثاني دعاء العبادة: تدخل فيه كل عبادة.

**لكن للإجابة شروط منها:**

**أولاً:** الإخلاص، ودليل ذلك أن الإخلاص سبب لإجابة المشرك فكيف بالمسلم قال تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦٥].

**ثانياً:** تناول الحلال، لحديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم "ثم ذكر الرجل يطيل السفر ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له".

**ثالثاً:** العزم في المسألة. لحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دعا أحدكم فلا يقول: إن شئت، وليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يعظم عليه شيء أعطاه). [رواه أبو داود وصححه الألباني].

كما أن للإجابة موانع منها:

أولاً : التعجل ، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : ("لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل ، قيل يا رسول الله: ما الاستعجال ؟ قال : "يقول: قد دعوت ،وقد دعوت ، فلم أر يستجيب لي ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء") [رواه مسلم] ، وعنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي " [رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني].

ثانياً : الدعاء بإثم أو قطيعة رحم ، لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يتعجل يقول : قد دعوت ودعوت فلم يستجب لي " [رواه الترمذي] . (إِنَّ الَّذِي يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) وفي هذه الجملة من الفوائد: تسمية الدعاء عبادة. و فيها أَنَّ ترك الدعاء من التكبر. (داخرين) أي: ذليلين ، لما تركوا الدعاء تكبرا عاملهم الله بنقيض قصدهم .

قال المصنف رحمه الله : (وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ( فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران: 175] ).

قوله:(وَدَلِيلُ الْخَوْفِ). الخوف: هو الفرار من الله بفعل أوامره وترك نواهيه. والخوف ثلاثة أنواع: الأول : خوف طبيعي: كالخوف من العدو أو السبع فهذا مباح ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ القصص(18) والثاني : خوف عبادة لله، وهو الذي يحمل على الطاعة وترك المعصية. والثالث : خوف شركي ، وهو الخوف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

(قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ) أول هذه الآية ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ والمعنى أَنَّ الشيطان يخوف أوليائه وهو الظاهر ، أو أَنَّ مفعول يُخَوِّفُ الأول محذوف والتقدير يخوفكم أوليائه فإن من مكائد الشيطان لأهل الإسلام تخويفهم بأوليائه أي يعظم أوليائه في قلوب المسلمين حتى يرهبوه و الضمير في قوله (فَلَا تَخَافُوهُمْ): يعود إلى أولياء الشيطان. (وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ): إِنَّ: شرطية، فجعل الخوف منه شرطاً في الإيمان ، قال ابن القيم : " فالخوف من أجل منازل الطريق، وخوف الخاصة أعظم من خوف العامة، وهم إليه أحوج، وهو بهم أليق، ولهم ألزم. فإن العبد إما أن يكون مستقيماً أو مائلاً عن الاستقامة فإن كان مائلاً عن الاستقامة فخوفه من العقوبة على

ميله، ولا يصح الإيمان إلا بهذا الخوف وهو ينشأ من ثلاثة أمور: أحدها: معرفته بالجناية وقبحها. والثاني: تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها. والثالث: أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها وأما إن كان مستقيماً مع الله فخوفه يكون مع جريان الأنفاس، لعلمه بأن الله مقلب القلوب" [مدارج السالكين 507/1]. قوله: (وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف) الرجاء لغة هو التأخير. وشرعاً: النظر إلى سعة رحمة الله تعالى والثقة بجوده وفضله وكرمه. ويستلزم ثلاثة أمور:

أولاً: محبة الأمر المنتظر. ثانياً: السعي في تحصيله. ثالثاً: الخوف من فواته. [أفاده ابن كثير رحمه الله]. (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ) المراد باللقاء هنا لقاء تكريم. (رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) فربط بين الرجاء والعمل؛ لأن الرجاء بدون العمل يسمى أمانياً (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) أحداً: نكرة في سياق النهي فتفيد العموم، أي: أن رجاء الله مستلزم للتوحيد.

فائدة: الخوف والرجاء للمؤمن كالجناحين للطائر، يفرُّ بهما إلى الله. و يغلب العبد جانب الخوف إن كان مائلاً عن الاستقامة لينكف عن المعصية ويغلب جانب الرجاء عند الموت لحديث جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: "لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز و جل". [رواه مسلم (2877) وأبوداود (2877) وغيرهما]

فائدة أخرى: أهل السنة والجماعة يعبدون الله بالخوف والرجاء والمحبة أما الخوارج فيعبدونه بالخوف فقط والمرجئة يعبدونه بالرجاء فقط وزعمت طائفة من الزنادقة أنهم يعبدون الله بالحب فقط.

قوله: (وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) [المائدة: 23]. وقوله: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [الطلاق: 3] ( التوكل لغة: التفويض. وشرعاً: صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع بذل الأسباب. (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا): الجار والمجرور متعلق بالفعل توكَّلوا، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، أي: توكَّلوا على الله وحده، فلا يجوز في التوكل العطف على الله بـ(الواو) ولا بـ(ثم). (إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) أي: أن التوكل يرتبط بالإيمان وجوداً وعدمًا وضعفًا وقوةً. (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ): (مَنْ) اسم شرط يفيد العموم. (حَسْبُهُ) أي: كافيهِ. ففيهِ: أن من ثمار التوكل كفاية الله المتوكل حاجته وحفظه مما يخاف ووقايته ولا يرد على هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال]. فمعناها: حسبك الله، ومن اتبعك



من المؤمنين حسبه الله. والتوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب لقوله صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً). [رواه ابن ماجه (4164) وصححه الألباني في الصحيحة (310)]، فأثبت لها التوكل مع الغدو والروح.

قوله: (وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90])

الرَّغْبَةُ: هي الحرص على الشيء مع الطمع فيه. والرَّهْبَةُ: هي طول الخوف واستمراره. والخشوع: قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل. (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) الضمير يعود للأنبياء، والخيرات هنا: الطاعات. ويدعوننا: يعبدوننا. و(رَغَبًا وَرَهَبًا): حال، وهذه الآية كقوله: ﴿نَتَجَافَى

جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة، فجمعوا بين الخوف والرجاء مع كمال العبودية. (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ): فيها أنَّ خشوعهم كان خالصاً لوجه الله. قوله: (وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ( فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي... ) الآية [البقرة: 150].

الْخَشْيَةُ: خوف الله عز وجل خوفاً يشوبه تعظيم ويقترن به إحلال، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر. فلا يخشى الله إلا عالمٌ، ولا يكون عالماً إلا إذا خشي الله. (وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...﴾ الآية [الزمر: 54].) (الْإِنَابَةُ: هي التوبة؛ وهي الرجوع إلى الله بفعل أوامره وترك نواهيه، ويشترط فيها خمسة شروط:

أولاً: الإخلاص لقوله تعالى: ( وتوبوا إلى الله جميعاً ) فالتوبة إلى الله لا إلى غيره.

ثانياً: الإقلاع عن الذنب يعني مفارقتة .

ثالثاً: الندم لقوله صلى الله عليه وسلم: ( الندم توبة ). [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]

رابعاً: العزم على عدم العود، ويعبر عنه بإقلاع القلب عن الذنب.

خامساً: أن تكون في وقتٍ تقبل فيه التوبة، فهي لا تقبل عند الغرغرة ولا عند طلوع الشمس من مغربها لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" ولقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: 158]. قال ابن مسعود وأبي سعيد الخدري: "بعض آيات ربك هي طلوع الشمس من مغربها" [مصنف ابن أبي شيبة (38752)]

(وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]. وفي الْحَدِيثِ:

"...وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِينِ بِاللَّهِ") الاستعانة هي طلب العون فهي نوع من أنواع الدعاء، والدعاء عبادة فصرفه لغير الله شرك. (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾): إِيَّاكَ: مفعول به مقدم، وتقاسم ما

حقه التأخير يفيد الحصر أي: نعبذك وحدك ولا نستعين إلا بك. (وَفِي الْحَدِيثِ: "...وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ") هذا حديث ابن عباس عند الترمذي وغيره.

قال ابن الجوزي عن هذا الحديث: ( تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكِدْتُ أَطِيشُ، فَوَأَسَفًا مِنْ الْجَهْلِ بِهِ وَقِلَّةِ التَّدَبُّرِ لِمَعْنَاهُ ). ولابن رجب رسالة مفردة في بيان هذا الحديث سماها: ( نور الاقتباس في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ).

وتكون الاستعانة بغير الله شرك إذا كانت في أمر لا يقدر عليه إلا الله، وأما الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه فجائزة لحديث بريرة عندما قالت لعائشة رضي الله عنهما: ( إني كاتبته أهلي على تسع أواقٍ فأعينيني ).

قوله: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ( قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ) [الفلق: 1]. وَ(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) [الناس: 1].) الاستعاذة: طلب العوذ وهي الاحتماء من شر كل ذي شرٍّ، وهي نوع من أنواع الدعاء. (قُلْ): الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، (أَعُوذُ): أحتمي، (بِرَبِّ الْفَلَقِ): الرَّبُّ هو السيّد لغة. وشرعاً: الخالق المالك المدبّر؛ فالمستعاذ به خالق مالك مدبّر.

قوله: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ) الاستغاثة: طلب الغوث وهي الدعاء عند الشدة والكره. (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ...﴾ الآية [الأنفال: 9].) (إِذْ): ظرف لما مضى من الزمان، وكان ذلك يوم بدر. (فَاسْتَجَبْ لَكُمْ): هذا حضٌّ على الدعاء وحسن الظن بالله، وأنه يستجيب بخلاف غيره. ويقال في الاستعاذة والاستغاثة ما سبق في الاستعانة أنها تجوز بالمخلوق فيما يقدر عليه قوله: (وَدَلِيلُ الذَّبْحِ) الذَّبْح: إراقة الدم تقرباً لله تعالى (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 161-163]) صلاة: مفرد مضاف يفيد العموم. و(نسكي): أي: ذبحي، (وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي) أي: حياتي وموتي لله قصداً وملكاً. (لله) فيها ركن الإثبات. (لا شريك له) ركن النفي. (وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ) إشارة إلى التوحيد المفهوم من النفي والإثبات. (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) إسلام كل نبي سابق لأُمته، وقيل: المراد المسارعة إلى الطاعات مطلقاً. (وَمِنَ السُّنَّةِ: "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ") هذا حديث علي بن أبي طالب في صحيح مسلم. (لعن الله): اللعن هو الطرد من رحمة الله، وقد يكون أبدأً إذا اقترن بفعل هو كفر. وقد يكون غير أبدي إذا اقترن بكبيرة، واللعن هنا أبدي؛ لأن الذبح لغير الله شرك أكبر.

قوله: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ) النذر لغة: الإيجاب، وشرعاً: إيجاب المكلف على نفسه ما لا يوجبه الله عليه وعقد النذر مكروه والوفاء به واجب، لذلك مدح الله الموفين بالنذر ولم يمدح الناذرين (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: 7]) (مُسْتَطِيرًا) أي: منتشرًا.

\*\*\*\*\*

قال المصنف رحمه الله : \*الأصل الثاني : مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ\* (بالأدلة) الباء بمعنى "مع" والأدلة جمع دليل وهو ما يتوصل بصحيح النظر فيه إلى حكم شرعي.

قال المصنف رحمه الله : (وَهُوَ: الاستِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ). قوله :

(الاستِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ) هذه هي العبودية التامة وهي هنا الإيمان بالله (وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ) هذا هو الكفر بالطاغوت و بغض أهل الشرك (وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ) أخصها الإحسان و أعمها الإسلام و الإيمان بينهما (وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ) الركن لغة :هو جانب الشئ الأعظم ، واصطلاحاً :جزء الحقيقة الذي لا تقوم إلا به .

قال المصنف رحمه الله : (المرتبة الأولى: الإسلام . فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحُجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ). أجمعها هنا وسيأتي تفصيلها.

قوله: (فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) [آل عمران، 18]). الشهادة لابد فيها من نطق اللسان و موافقة القلب لما نطق به اللسان ،وفي هذه الآية شهادة الله لنفسه بالتوحيد وشهادة ملائكته وشهادة أولي العلم بذلك وفي الآية فضل أهل العلم من ثلاثة أوجه : أولاً : أن الله استشهد بهم في أعظم مشهود عليه وهو التوحيد ثانياً : قرن شهادتهم بشهادته سبحانه و شهادة ملائكته ثالثاً : في الاستشهاد بهم تعديل لهم فهم عدول . ( الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) العزيز له ثلاثة معاني ، الأول : واحد لا نظير له ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكَنَنْبُ عَزِيزٌ﴾ [فصلت]. الثاني : الغالب ، ومنه قوله تعالى

﴿وَعَزَّزْنِي فِي الْخُطَابِ﴾ [ص]. الثالث : القوي ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾

[يس: 14] . و الحكيم له معنيان :

الأول : الذي يضع الأمور مواضعها.

الثاني : الحكم الذي يفصل بين الخلائق .

فائدة: في اجتماع هذين الاسمين كمال فوق كمال فعزته مقترنة بحكمة لا كالعزيز من المخلوقين فإنَّ الغالب عليهم الطيش ، وحكمته مقترنة بعزة لا كالحكيم من المخلوقين فإنَّ الغالب عليهم العجز .

قوله: (وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ) هذا هو المعنى الصحيح لكلمة التوحيد فليس معناها لا خالق إلا الله ، وليس معناها لا إله موجود إلا الله ؛ وذلك لأنَّ كلمة إله معناها معبود وخبر لا محذوف لا يمكن تقديره موجود لأنَّ الآلهة موجودة لكنها آلهة باطلة والله هو الإله الحق (وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ الْإِثْبَاتِ (لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) هذا هو ركن النفي ويعني الكفر بجميع الآلهة الباطلة ( (إِلَّا اللَّهُ) مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ) هذا ركن الإثبات ويعني الإيمان بالله فلا يتم توحيد العبد حتى يأتي بهذين الركنين ، فالنفي وحده عدم ، والإثبات لا يمنع المشاركة (وَحَدُّهُ) هذا تأكيد للإثبات (لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ) هذا تأكيد للنفي (كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي مُلْكِهِ) هذا تعليل ، أي : فكيف يشرك معه غيره في عبادته ، وقد اعترف أنَّه لا شريك له في ملكه ، وهو إحتجاج بتوحيد الربوبية الذي هو مستقر في فطر الناس على توحيد الألوهية الذي وقع فيه النزاع (وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ) ) أي: أنا كافر بجميع الآلهة التي تعبدونها ، وهذا هو ركن النفي من كلمة التوحيد وهو يقابل لا إله (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) هذا ركن الإثبات وهو الإيمان بالله وهو يقابل إلا الله (فَإِنَّهُ سَيَّهْدِينِ) وفي هذه الآية أنَّ التوحيد يقود للطاعات (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الزخرف: 26 - 28] أي : أنَّ إبراهيم جعل كلمة التوحيد باقية في ذريته بالوصية بها . (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 64] هذه الآية معطوفة على الآية السابقة فهي تفسير لكلمة التوحيد أيضاً قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أهل الكتاب هم اليهود والنصارى ويشمل النداء والدعاء كل من عبد غير الله فإننا ندعوه لهذه الكلمة وإنما أضافهم إلى الكتاب تذكيراً لهم أن يعملوا بما فيه (تعالوا) أي : اقبلوا (إلى كلمة) هذه الكلمة هي كلمة التوحيد (سواء بيننا وبينكم) أي تتفق عليها نحن وأنتم (ألا نعبد) هذا ركن النفي ويعني الكفر بالآلهة الباطلة (إلا الله) هذا ركن الإثبات ومعناه الإيمان بالله (ولا نشرك به شيئاً) هذا تأكيد للنفي (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً) أي آلهة ، وهذا تأكيد للنفي أيضاً (فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أي: إن أعرض الناس عن التوحيد فاستمروا عليه وتمسكوا به وأعلموهم بذلك .

\* وكما أن لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) أركان فلها أيضاً شروط جاءت بها الأدلة من القرآن والسنة وهي سبعة:

الأول: العلم: المراد به العلم بمعناها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك. ودليل هذا الشرط من القرآن قوله

تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٦)

[الزخرف: ٨٦]. أي: لا ينال الشفاعة إلا من شهد بكلمة التوحيد مع العلم بمعناها. ودليل هذا الشرط من السنة: حديث عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة". [رواه مسلم (43)]

الثاني: اليقين بأن يكون قائلها مستيقناً بمعناها نفياً وإثباتاً المنافي للشك ودليل هذا الشرط من القرآن قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٥) [الحجرات] ودليل هذا الشرط من السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة" [رواه مسلم (27)]

الثالث: القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه ودليل هذا الشرط من القرآن ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) [الصفافات]

الرابع: الانقياد لما دلت عليه من النفي والإثبات ودليل هذا الشرط من القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢) [لقمان: ٢٢] والخامس: الصدق وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطئ قلبه لسانه، ودليل هذا الشرط من القرآن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨) [البقرة: ٨]، وإنما نفى عنهم الإيمان لأن قلبهم لم يوافق ما نطق به لسانهم. ودليل هذا الشرط من السنة: في الصحيحين عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار"

السادس: الإخلاص وهو أن يخلص في نطقها واعتقادها، ودليل هذا الشرط من القرآن قوله تعالى:

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]

ودليل هذا الشرط من السنة: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه [رواه البخاري]

السابع: المحبة للإله لا إله إلا الله، ولما اقتضته ودلت عليه من الأقوال والأفعال وبغض الشرك، ودليل هذا الشرط من القرآن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ

آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وقد نظمها العلامة حافظ بن أحمد الحكمي بقوله:

وَبَشُرُوْطٍ سَبْعَةٍ قَدْ فُيِّدَتْ \*\*\* وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ  
فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلٌ-هَا \*\*\* بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُ-هَا  
الْعِلْمُ وَالْيَقِيْنُ وَالْقَبُوْلُ \*\*\* وَالْإِنْقِيَادُ فَادِرٍ مَا أَقْبُوْلُ  
وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّةُ \*\*\* وَفَقَّكَ اللهُ لِمَا أَحَبَّهُ

قال المصنف رحمه الله : (وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ( لَقَدْ جَاءَكُمْ  
رَسُوْلٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيْزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَؤُوفٌ رَّحِيْمٌ ) [التوبة:  
128].

قوله: (لقد جاءكم) هذا الخبر مؤكد بثلاث مؤكدات اللام والقسم المحذوف وقد (من أنفسكم) أي: من  
البشر ليكون أقرب للحجة وأدنى لفهم الحجة وقُرئ: (من أنفسكم) بفتح الفاء، أي: من أشرفكم وهي  
قراءة شاذة. (عزيز عليه ما عنتم) أي شديد عليه عنتم أي مشقتكم والمشقة كلها في مخالفته صلى  
الله عليه وسلم (حريص عليكم) الحرص طلب الشيء بشدة وحرصه إنما هو على إيصال الخير الديني  
والأخروي إلينا (بالمؤمنين رؤوف رحيم) أي عطوف رفيق، والرأفة أخص من الرحمة. (وَمَعْنَى شَهَادَةِ  
أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ  
وَزَجَرَ وَلَا يُعْبَدُ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ) هذه أربع لوازم تلزم من آمن بأنَّ محمداً مرسلٌ من عند الله:  
الأول: طاعته فيما أمر، أي: امتثال جميع أوامره.

الثاني: تصديقه فيما أخبر، أي: تصديق جميع أخباره، وتكذيبه في خبر واحد يكون كفراً برسالته، ولا  
يلزم ذلك في مخالفة أمره فإنها قد تكون كفراً وقد تكون فسقاً وقد تكون صغيرةً.

الثالث: اجتناب ما عنه نهي وزجر، والاجتناب ترك مع البعد، أي: ما نهى عنه وتركه وابتعد عن  
أصحابه وأسبابه .

والرابع: ألا يعبد الله إلا بما شرع، إذ هو أعلم بعبادة الله منا، فليس لنا أن نتعبد عبادة لم يتعبد بها أو  
لم يشرعها لنا، وهذا سدٌ لباب الاختراع و الابتداع في دينه الذي أرسل به.

قوله: (وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ) الصلاة لغة: الدعاء، وشرعاً: أقوال وأفعال  
مفتتحة بالتكبير محتمة بالتسليم. والزكاة لغة: النماء والطهر، وشرعاً: حق واجب من مال مخصوص في  
وقت مخصوص يؤدي إلى فئة مخصوصة. والعلاقة بين المعنى اللغوي و الشرعي أن الزكاة سبب في زيادة  
المال وسبب في تطهير نفس الغني من البخل ونفس الفقير من الحسد. (قَوْلُهُ تَعَالَى: ( وَمَا أُمِرُوا إِلَّا  
لِيُعْبَدُوا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّيْنَ حُنَفَاءَ ) ﴿﴾ سبق أن ذكر المصنف آيتين في تفسير التوحيد وهذه

الآية اشتملت على تفسير التوحيد والصلاة و الزكاة وفي هذه الآية حصر الله المأمورات كلها في الإخلاص والتوحيد ووجه ذلك أن الله لا يقبل المأمورات إلا به بل جاء في القرآن أن الإخلاص هو طريق الخلاص من الفواحش والمنكرات قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٢٤) يوسف . ( وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ )

([البينة: 5].) الصلاة هي أفعال و أقوال مبتدأة محتزمة بالتسليم أحل العبادات البدنية وإقامتها : أداؤها تامة شروطها وأركانها وواجباتها (و يؤتوا الزكاة) مفعول يؤتوا الثاني محذوف وهو الأصناف الثمانية التي بينها الله في سورة التوبة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُؤُهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠) (وَدَلِيلُ الصِّيَامِ) الصيام لغة الإمساك . وشرعاً: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله تعالى. (قَوْلُهُ تَعَالَى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ) ) خص أهل الإيمان بهذا النداء لأنهم أهل إستجابته وغير أهل الإيمان مكلف بالصيام أيضاً لكنه مكلف بما لا يتم الصيام إلا به وهو التوحيد. فيرشد إلى ما يصح به صيامه ولا ينهى عن الصيام . (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ) أي فرض ووجب (كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) في هذا تسليية لهذه الأمة في أن الصيام مفروض على الأمم السابقة والكاف للتشبيه وليست للتمثيل فقد جاء الفرق بين صيامنا وصيامهم في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر) رواه مسلم (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) لعل حرف تعليل أي : أن الغاية من شرعة الصيام حصول التقوى . والتقوى أحسن ما قيل فيها : أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله . وخالصة حدّ التقوى: أن تعمل الطاعة بعلم وإخلاص وأن تترك المعصية بعلم وإخلاص . (وَدَلِيلُ الْحَجِّ) الحج لغة : القصد إلى معظم. وشرعاً : قصد بيت الله (المشاعر المقدسة) بأفعال مخصوصة في أيام مخصوصة (قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ) (١٠) قوله (على الناس) يدل على وجوب الحج (من استطاع إليه) أي: أن الوجوب مخصوص بالمستطيعين والاستطاعة تختلف باختلاف الزمان والمكان فهي القدرة البدنية والمالية على الوصول (سبيلًا ) السبيل هو الطريق (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) فمن جحد وجوب الحج كفر ومن تركه مع الإعتراف بشرعته فهو على خطر عظيم آتٍ كبيرة من الكبائر إن كان مستطيعاً

\*\*\*\*\*

قال المصنف رحمه الله : (الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ . وَهُوَ: بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ. وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كَمَا فِي الْحَدِيثِ (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ( لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ) [البقرة: 177].  
ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ( إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ) [القمر: 49].

قوله (الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ ) الإيمان لغة الإقرار . وشرعاً: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان ، وقيل: هو قول واعتقاد وعمل بالقلب واللسان والجوارح ، وهذا أضبط.

(وهو بعض وسبعون شعبة ) بضع يطلق على العدد من ثلاثة إلى تسعة والشعبة هي الجزء أو الطائفة ، وأصل هذه الجملة حديث أبي هريرة في الصحيحين قَالَ : قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ " ويعتبر هذا الحديث أصل من أصول أهل السنة والجماعة في الاعتقاد ، فهو يدل على أن الإيمان يتبع بعض خلافا للخوارج والمرجئة ، فالخوارج يقولون أن الإيمان شيء واحد فإذا ذهب ذهب كله ، لذا عندهم المعصية تذهب الإيمان كله ، وكذلك المرجئة عندهم الإيمان شيء واحد لا يفوت منه شيء بفوات بعض الطاعات ، و أهل السنة والجماعة عندهم الإيمان أبعاد وأجزاء يزداد بزيادتها وينقص بنقصانها ، فالمعصية لا تذهب الإيمان كله لكن تنقصه . (فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) يدل على أن الإيمان قول واعتقاد وأنه يتفاوت عند صاحبه وبين أصحابه

(وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ) قوله (أعلاها) و(أدناها) يدل على أن الإيمان يزداد وينقص .  
الإمطة : الإزالة ، والأذى هو كل ما يؤذي عرفاً أو شرعاً . وفيه أن الإيمان عمل .

والناس في إمطة الأذى ثلاثة : الأول : الذي يميظ الأذى عن الطريق وهذا أعلى الدرجات . والثاني : الذي لا يميظ الأذى ولا يضعه . والثالث : الذي يضع الأذى على الطريق ، على نحو قول الله تعالى:

﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ فاطر. (وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ) الحياء هو خلق فاضل يحمل النفس على ترك القبيح وفعل الحسن . وهو من أعمال القلوب ، وإنما خصه دون الأعمال الأخرى لأنه كالسياج للإيمان يصونه من



أن يناله شيء . (وَأَرْكَأَهُ سِتَّةَ: كما في الحديث (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ) الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور: أولاً: الإيمان بوجوده. ثانياً: الإيمان بتفرد الربوبية وهي الخلق والملك والتدبير. ثالثاً: الإيمان بتفرد الألوهية وهي العبادة. رابعاً: الإيمان بتفرد الأسماء الحسنى والصفات العلى وأن يكون ذلك على مذهب أهل السنة والجماعة ، بأن نصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل ولا تحريف ومن غير تمثيل ولا تكيف. (وَمَلَأْتِكُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْأَلْوَكَةِ وهي الرسالة وهم عباد الله مخلوقون من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا يعلم عددهم إلا الله ولهم وظائف يختصون بها ومنهم من خاصية التشكل (وَكُتِبَ) جمع كتاب والمراد الكتب التي أنزلها الله على أيدي أنبيائه ومرسله فنؤمن بها جميعاً ما سمى منه وما لم يسم والقرآن مهيمن عليها ناسخ لها (وَرُسُلِهِ) جمع رسول وهو رجل حر أوحى إليه بشرع مستقل وأرسل إلى قوم مخالفين ويدل على هذا المعنى قوله تعالى ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ المائدة . والضمير يعود إلى التوراة (وَالْيَوْمَ الْآخِرِ) يشمل الإيمان بكل ما يكون بعد الموت من فتنة القبر وضمه وعذابه ونعيمه والنشر والحشر والميزان وتطهير الصحف والشفاعة والحوض والصرائط والجنة والنار . وقد أقام الله البراهين العقلية في القرآن على وقوع البعث فمن ذلك استدلاله بالنشأة الأولى على الثانية قال تعالى وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده ثانياً إحياء الأرض بعد موتها قال تعالى فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك الخروج ثالثاً خلق السموات والأرض قال تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس رابعاً النوم الله يتوفى الأنفس حين موتها. (وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ) وتؤمن بالقدر أعاد الفعل لطول الفصل والقدر لغة: مصدر قَدَرٌ يَقْدَرُ قَدَرًا وتقديراً وشرعاً: هو إحاطة الله بالأشياء علماً وكتابةً وخلقاً ومشئته ، وهو أربع مراتب : الأولى : العلم، وهو أن نعتقد أن الله يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون والأدلة على هذا كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة. الثانية : الكتابة، وهو أن تعلم أن الله كتب كل شيء كائن على ضوء علمه السابق والدليل قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴿الحج . وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ " . الثالثة : الخلق، وهي أن الله خالق كل شيء فلا يخرج من هذه الأمور شيء فقد خلق الله العبد وخلق عمله قال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ الصفات . وقد خلق سبحانه الخير والشر وأمر العبد أن يباشر الخير ولا يباشر الشر فيحاسب العبد على كسبه لا على خلقه . الرابعة : المشيئة، وهي الإختيار ، لله تعالى مشيئة وللمخلوق مشيئة ولكن مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الخالق لقوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَلَمِينَ ﴿٢٩﴾ التَّكْوِي . قوله فحاصل الإيمان بالقدر أَنَّ الله اطلع على الخلائق قبل أن يخلقهم فعمل ما هم عاملون قبل أن يخلقهم فكتب ما هم عاملون قبل أن يخلقهم ثم خلقهم فوقهم منهم ما كتب بمشيئة منهم واختيار تابعة لمشيئة الله سبحانه .

(وتؤمن بالقدر خيره وشره) أي خيره وشره من الله ، والخير هو ما يلائم العبد ، والشر ما لا يلائمه ، ولكن لا يُنسب الشر إلى الله تأدباً ، ولأن العبد سبب فيه ، فتقدير الله كله خير لكن مقدوره فيه الخير والشر فالشر في مفعولاته لا في فعله ، فالمرض شرٌ لكن تقدير الله له على عبده خيرٌ محضٌ لما به من تكفير للسيئات ورفع للدرجات وتضرع العبد إلى ربه وغير ذلك . (وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ( لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ) [البقرة: 177] . أي: أن البر لا ينحصر في استقبال القبلة ولكن يشمل هذه الأمور التي ذكرها الله في الآية ، وفي الآية دليلٌ على خمسةٍ من أركان الإيمان الستة لذا قال (ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ( إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ) [القمر: 49] .

\*\*\*\*\*

قال المصنف رحمه الله : (الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ . أركانه: وله رُكْنٌ وَاحِدٌ. كما في الحديث: ( أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ) . وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ) [النحل: 128] . وقَوْلُهُ تَعَالَى: ( وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ \* الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ \* إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) [الشعراء: 217 . 220] . وقَوْلُهُ تَعَالَى: ( وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ) [يونس: 61] .

قوله: (الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ) وهو لغة : الإتيان ، وشرعاً : أن تعبد الله كأنك تراه . (أركانه: وله رُكْنٌ وَاحِدٌ) لكنه مرتبتان الأولى: أن تعبد الله كأنك تراه ، أي: تستحضر قربك منك كأنك تنظر إليه ، والثانية: أن تستحضر نظره إليك ، وهنا لم يقل "كأنه يراك" لأنه حاصل . كما في الحديث: ( أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ) أي: فإن عجزت عن المرتبة الأولى فلا تعجز عن الثانية ، واستدامة العبد للمرتبة الثانية يبلغه المرتبة الأولى . وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ) المعية هنا معية خاصة تقتضي النصر والتأييد ، أما المعية العامة مقتضاها العلم والإحاطة . ( وقَوْلُهُ تَعَالَى: ( وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ \* الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ \* إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) [الشعراء: 217 . 220] ) ساق هذه الآية لسيئد بها على

مراقبة العبد لربه التي تقوده إلى الإحسان (وتوكل على العزيز الرحيم) سبق الكلام على معنى التوكل (العزيز الرحيم) في إجتماع هذين الإسمين كمال فوق كمال فإن عزته مقترنة برحمته ورحمته مقترنة بعزة (الذي يراك حين تقوم) أي إلى الصلاة واستحضار هذا المعنى موجب لاتقانها وإحسانها (وتقبلك في الساجدين) أي وحين انتقالك بين الأركان (إنه هو السميع العليم) سميع للأقوال عليم بالأفعال . (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) .) هذه الآية أيضاً من الآيات التي تهدي العبد إلى مراقبة ربه قوله (وما تكون في شأن) شأن: نكرة في سياق النفي فتعم كل شأن ، قوله (وما تتلو منه من قرآن) تتلو أي : تقرأ ، قرآن: نكرة في سياق النفي زيد عليها من فهي نص في العموم . (وما تعملون من عمل) عمل نكرة في سياق النفي زيد عليها من فهي نص في العموم . (إلا كنا عليكم شهوداً) شهوداً أي حضورياً إذ تفيضون فيه أي تشرعون فيه فإن العبد متى استحضر هذا في قلبه دعاه إلى اتقان ذلك العمل

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: ( أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ) . قَالَ: صَدَقْتَ . فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ . قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ . قَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ) . قَالَ: صَدَقْتَ . قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ . قَالَ: ( أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ) . قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ . قَالَ: ( مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ) . قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا . قَالَ: ( أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْخُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ) . قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: ( يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلُ؟ ) . قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ( هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ ) .

قال القرطبي في المفهم يصلح أن يقال في هذا الحديث إنه : أمُّ السُّنَّةِ . قوله: (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم ) فيه الجلوس مع أهل العلم والفضل (إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ) " إذ هنا فجائية فلم يروه من بعيد. (شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ) فيه تحسين الهيئة وتنظيف الثياب مجلس العلم وفيه أن وقت طلب العلم قبل المشيب (لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ) وهو الغبار والتعب . (وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ) وهذا مصدر تعجب واستغراب فهو غير قادم من سفر وغير معروف عندهم (فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى

فَخَذِيهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ) وهنا قد زاد الأمر غرابة فهذا الرجل إضافة إلى ما سبق فهو يعرف رسول الله ﷺ فقد جلس إليه ووضع كفيه على فخذي رسول الله ﷺ كما جاء صريحاً عند النسائي ومع ذلك يناديه باسمه مجرداً واجتماع هذه الأمور تجعل أصحاب النبي أكثر انتباهاً لكلامه وأوعى لسؤاله وفيه القرب من مجلس الشيخ وفيه التأدب في الجلوس بين يدي أهل العلم . (أَخْبَرَنِي عَنِ الْإِسْلَامِ) فيه سؤال طالب العلم عن المهمات التي ينبغي عليها العمل وفي سؤاله لرسول الله ﷺ أَنَّ طالب العلم إنما يسأل أهل العلم حملة الوحيين ولا يسأل الأعمار الصغار الذين لم يحصلوا العلم ولم يتزينوا بالعمل . (فَقَالَ: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا") سبق الكلام على الإسلام وأركانه (قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ) ووجه العجب أن السؤال يوجب عدم العلم والتصديق موجب للعلم فكيف اجتماعا له وهما ضدان (قَالَ: أَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ". قَالَ: صَدَقْتَ) سبق الكلام على الإيمان وأركانه . (قَالَ: أَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ") سبق الكلام على الإحسان وأركانه . (قَالَ: أَخْبَرَنِي عَنِ السَّاعَةِ) أي عن وقتها . (قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ") (أي: أن المسئول في منزلة السائل في عدم العلم بذلك ، وفيه أن الله وحده هو الذي اختص بالعلم بذلك ، وفيه أن قول العالم فيما لا يعلم لا أدري لا ينقص من قدره بل هو دليل على علمه وتقواه (قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا) أي: علاماتها (قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رِبَّتَهَا") قيل: المراد كثرة التسري، وقيل: كثرة الجهل، وقيل: كثرة العقوق، وقيل: غير ذلك (وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ) الحفاة: جمع حافي، وهو من لا نعل له. والعراة: جمع عار. والعالة: جمع عائل، وهو الفقير. و(يتطاولون) هذا الوزن يدل على التفاخر والتنافس ، وفي هذه الجملة علم من أعلام النبوة فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، وهذا لا يدل على تحريم البناء العالي ، ومنه تعلم أنه ليس كل علامة من علامات الساعة محرمة، فمنها ما هو مباح ومنها الحرام ، وفي الجملة أن انقلاب الموازين وتبدل الأحوال من علامات الساعة (قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا) أي: مدة (فَقَالَ: "يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مِنَ السَّائِلِ؟") فيه اختبار العالم طلابه (قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) فيه أدب عمر وفيه أن أولياء الله لا يعلمون الغيب وفيه قول الله ورسوله أعلم في المسائل الشرعية (قَالَ: "هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ") فيه خروج العالم لتعليم الناس وفيه اشتغال هذا الحديث على الدين كله وقد أخذ الفقهاء من هذا الحديث قاعدة عظيمة وهي أن المتسبب يُنَزَّل منزلة المباشر .

\*\*\*\*\*

الأصل الثالث : مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قوله (وَهُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ) فعن وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ " . [رواه مسلم] .

ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم تشمل معرفة نسبه خلقه فقد أنكر الله على مشركي مكة عدم إيمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه تمام المعرفة قال تعالى ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (سورة المؤمنون) قال ابن كثير في هذه الآية أي: أفهم لا يعرفون محمدا وصدقه وأمانته وصيانيته التي نشأ بها فيهم، أفقدرون على إنكار ذلك والمباهة فيه ؟ ولهذا قال جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، للنجاشي ملك الحبشة: أيها الملك، إن الله بعث إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته.

قوله : (وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النَّبُوءَةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النَّبُوءَةِ) سن الأربعون هي سن نضوج العقل ورجحانه وقد دلَّ على ذلك القرآن ، قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف).

قوله : (نَبِيٌّ بِ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بِ﴿الْمُدَّثِّرِ﴾)

النبي من النبأ وهو الخبر المهم وقيل من النبوة وهي المكان المرتفع، يريد أن أول ما أنزل عليه هو قوله اقرأ ولم يؤمر حينها بالبلاغ إلا عندما أنزلت عليه سورة المدثر فأمر حينها بالبلاغ

قوله : (وَبَلَدُهُ مَكَّةُ) أي التي ولد فيها ثم هاجر إلى المدينة.

قوله : (بَعَثَهُ اللَّهُ) أي: أرسله الله. (بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشُّرْكِ) أي لبيان خطورته ومفاسده وعاقبته الوخيمة، والنذارة هي الإعلام مع التخويف (وَبِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ) أي: بالترغيب فيه وذكر محاسنه وعاقبته الحميدة. قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: (( ليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعة مثل التوحيد، فإن خيري الدنيا والآخرة من ثمرات التوحيد وفضائله )) وقال ابن القيم ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله وكل شر في العالم وفتنة وبلا وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله. بدائع الفوائد

قوله : (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ \* وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ \* وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: 1 إلى 7]). المدثر أصلها المتدثر وهو المتغطي بثيابه.

قوله ( وَمَعْنَى: ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾: يُنذِرُ عَنِ الشَّرِّكَ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴾: أَي: عَظَّمَهُ بِالتَّوْحِيدِ.) تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر أي عظمه تعظيم عبادة وحده .

قوله ( ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾: أَي: طَهَّرَ أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرِّكَ. ) إطلاق الثوب على العمل موجود في لغة العرب ومنه قوله : ﴿ وَلِبَاسُ النُّفُوسِ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكُمْ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ [الأعراف]

قوله: ( ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾: الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ) قوله (أخذ على هذا) أي على الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك ، كما أنه كان يدعو إلى مكارم الأخلاق كما حديث هرقل و أبو سفيان قال هرقل : فيم يأمركم؟ قال: أبو سفيان: يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة. ( وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ) العروج : الصعود (وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ)، وهذا يدل على عظم شأنها، فإن سائر الفرائض فرضت في الأرض سوى الصلاة فإنها فرضت من فوق سبع سماوات . ( وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ) وكان يصلي في الرباعية ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد في الحضر (وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْهَجْرَةُ الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشَّرِّكَ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ. ) الهجرة لغة: من الهجر وهو الترك ، وشرعاً : ترك ما نهى الله عنه. ومن الهجرة الشرعية: ترك بلد الشرك إلى بلد الإسلام التي ذكرها المصنف فهذه جزء من الهجرة الشرعية . (وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشَّرِّكَ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ) أي مُحْكَمَةٌ لَمْ تُنْسَخْ، أَمَّا حَدِيثُ "لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ" فَالْمُرَادُ بِهِ لَا هَجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ لِأَنَّهَا صَارَتْ بَلَدَ إِسْلَامٍ. قوله: (وَالدَّلِيلُ) أي الدليل على فرضية الهجرة (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا \* إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا \* فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: 97 إلى 99].) (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) تَوَفَّاهُمْ: أَصْلُهَا تَتَوَفَّاهُمْ ، وَأَسْنَدُ الْوَفَاةِ هُنَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَفِي سُورَةِ السَّجْدَةِ أَسْنَدَهَا إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ فَقَالَ: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّكُمُ

مَلِكِ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ، وفي سورة الزمر أسندها إلى نفسه فقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ، أما إسنادها إلى نفسه فلأنه هو الذي أمر ملك الموت أن ينزعها ، وأما إسنادها إلى ملك الموت لأنه هو الذي يباشر نزعها ، وأما إسنادها إلى الملائكة لأنهم يعاونون ملك الموت. قوله (ظالمي أنفسهم) ظلم النفس يكون بترك واجب أو فعل محرم ، والواجب الذي تركوه هنا هو الهجرة (قالوا فيم كنتم) أي ما الذي منعكم من إقامة دينكم؟ (قالوا كنا مستضعفين في الأرض) أي: ذليلين لا نستطيع أن نقيم ديننا (قال ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) هذا استفهام توبيخي (فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) أي مآلهم ومرجعهم (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ) الاستضعاف هنا: عدم القدرة من الأشياخ والنساء والأطفال (لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) أي: لا يقدرُونَ على الهجرة ولا يعرفون الطريق. (فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ) عسى عند الله واجبة ، فاعفو عنهم محقق. (وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) العفو: التجاوز ، والمغفرة: الستر . قوله : (وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: 56] .) العبادة المقصودة هنا هي الهجرة . (قَالَ الْبُغَوِيُّ. رَحِمَهُ اللَّهُ.: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ وَلَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ. ) البغوي هو حسين بن مسعود الفراء ، صاحب معالم التنزيل في التفسير . في كلامه هذا رد على الخوارج إذ أن المسلم لا يكفر بترك واجب . قوله : (وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا " ) الحديث رواه أحمد وأبو داود. أي: أن شرعية الهجرة مستمرة. قوله : ( فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، مِثْلَ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ ) وهذا لا يعني أنه ترك الدعوة إلى التوحيد بل دعا إلى هذه الشرائع مع التوحيد والناظر في سيرته وجد أن التوحيد ليست مرحلة ينتقل منها إلى غيرها بل هو ينتقل به إلى غيره فقد بدأ به و ختم حياته به فقد قالت عائشة رضي الله عنها (( لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اِعْتَمَ بِهَا كَشَفَهَا فَقَالَ وَهُوَ كَذَٰلِكَ: " لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، ائْتَحَدُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ "، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَٰلِكَ؛ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا )) أَخْرَجَاهُ.

قوله (مثل الزكاة) من أهل العلم من قال: أن الزكاة فرضت في مكة ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿وَوَيْلٌ

لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [فصلت] .

والصحيح أنها فرضت في المدينة ؛لأن المقصود بالزكاة هنا تطهير النفس من الشرك أما الصيام فقد فرض في السنة الثانية من الهجرة اتفاقاً ، أما الحج فلم يفرض إلا في السنة التاسعة من الهجرة .

**قوله: (وَالْأَذَانُ)** وهو لغة: الإعلام. شرعاً: الإعلام بدخول الوقت، وحكمه أنه فرض كفاية، وفي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فإن سمع أذاناً كف عنهم وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم". ترجم له البخاري بقوله: [باب ما يحقن بالأذان من الدماء] . قوله: (وَالْجِهَادُ) فرض الجهاد على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى: مرحلة الإذن؛ وهذا يدل على أن هناك مرحلة قبلها وهي مرحلة المنع قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج].

المرحلة الثانية: مرحلة الأمر بقتال من اعتدى عليهم؛ ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة].

المرحلة الثالثة: الأمر بقتال من كفر بالله وإن لم يقاتل، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال] وهذا ليس نسخاً ولكن حسب حال المسلمين فإن كان المسلمون مستضعفين عملوا بالمرحلة المكية وإن كانوا أهل قوة عملوا بالمرحلة المدنية . ثم قال رحمه الله: (وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ) المعروف: هو ما يأمر به الشرع ويرضاه، والمنكر: هو ما ينهى عنه الشرع ويأباه. (أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سَنِينَ) أي استمر على الدعوة إلى هذه الشرائع عشر سنين (وَتُوفِّيَ صَلَواتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ) توفي عليه الصلاة والسلام وفاءً حقيقية فارقت فيها روحه جسده (وَدِينُهُ بَاقٍ) أي: لم يمت دينه بموته صلى الله عليه وسلم، فإذا لم يمت بموت النبي صلى الله عليه وسلم لن يموت بموت غيره. (وَهَذَا دِينُهُ) إشارة إلى التوحيد وبقية الشرائع (لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ) أي: أنه أرشد أمته إلى الخير كله، فكل ما لم يرشدها إليه فليس بخير. (وَلَا شَرٍّ إِلَّا حَذَرَهَا مِنْهُ) أي: أنه حذرنا من الشر كله. (وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ) هذا أصل الخير وغيره تبع له. (وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ) أي: من الأفعال والأقوال. وفي الجملة وصف الله بالحب والرضا. (وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَرَهَا مِنْهُ الشَّرْكُ) هذا هو أصل الشر وغيره تبع له (وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ) أي: من الأفعال والأقوال. وفي الجملة وصف الله بالكراه والإباء، وهذان الوصفان كلاهما في

القرآن في [سورة التوبة]، في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [آية: 46]

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ قوله: (بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف: 158]). هذا دليل على أن رسالته عامة لجميع الإنس ومن السنة حديث جابر رضي الله عنه في [الصحيحين] قال: قال رسول الله



صلى الله عليه وسلم: "كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"، والدليل على أنه بُعث إلى الجن أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]

قوله : (وَكَمَّلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]). (اليوم) المراد به: يوم عرفة من حجة الوداع (وأتممت عليكم نعمتي) فيها تسمية الإسلام نعمة بل هو النعمة المطلقة (ورضيت لكم الاسلام ديناً) بل لا يرضى الله ديناً غيره. والآية أصل في رد البدع والحدثات

(وَالِدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: 30، 31]. ) أهل السنة والجماعة يقطعون بموته ويؤمنون بأن حياته في قبره حياة برزخية ليست كحياتنا قطعاً ويؤمنون بأن جسده لا يبلى ؛لحديث أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء". [رواه أبوداود والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني] . قوله: (وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ) البعث : هو نشر الموتى من قبورهم أحياء. ( وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: 55]). (منها خلقناكم) أي: الأرض (نعيدكم) أي: نقبركم. ( وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) هذا هو البعث. قوله : ( وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا \* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: 17، 18]. ) (وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا) هذا الخلق (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) هذا القبر (وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) هذا البعث .

قوله : ( وَبَعْدَ الْبُعْثِ مُحَاسِبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31]. ) (ولله ما في السموات وما في الأرض ) له وحده لأن تقلسم ما حقه التأخير يفيد الحصر (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا) هذا من عدله سبحانه ( وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ) وهذا من فضله وهذه الآية كقوله تعالى في [سورة القصص]: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٨٤] . وقوله في [سورة النمل]: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [٨٨] وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [٩٠] . وقوله في [سورة الأنعام]: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [١٦٠] .

قوله: (وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ) وهذا لا شك فيه ؛لأنه أحد أركان الإيمان الستة ، قوله: ( والدليل قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: 7] . ) ( زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ) أي: زعموا عدم البعث ( قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ) هذا قسم بالله على البعث وأنه حق ،وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أَنْ يُقَسِّمَ عَلَى الْبَعْثِ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: هذا أحدها الذي في [سورة التغابن] ،و قوله تعالى في [سورة يونس] ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٥٢) . وقوله في [سورة سبأ: 3] : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ ﴾ . قوله: (وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) أي: سهل ، كما قال تعالى في [سورة لقمان]: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْصِيكُمْ إِلَّا كَفَيسٌ وَاحِدٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٢٨)

قوله (وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: 165] . ) من الغايات التي بُعث الرسل من أجلها: إقامة الحجة على الناس والإعذار، فإن لم تأتكم الرسل بأنفسها ولا مَنْ جَاءَ مِنَ الرُّسُلِ كَانَ لَهُمُ الْعَذْرُ وَالْحُجَّةُ ،وفي الحديث عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب و أرسل الرسل " . [رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني]

قوله: ( وَأَوْلَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخَرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ والدليل على أَنَّ أَوْلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [النساء: 165] .) والدليل من السنة على أَنَّ آخَرَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حديث الشفاعة

الطويل من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أُرْسِلَ إِلَى الْأَرْضِ" . والدليل على أَنَّ آخَرَهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقُرْآنِ قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠] . ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : "وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ" [رواه الشيخان]. قوله: ( وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: 36] .) والدليل على أَنَّ جميع النبيين أرسلوا بالتوحيد قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ خبرٌ مؤكدٌ بثلاثة مؤكدات القسم المحذوف واللام وقد. (أُمَّة) جماعة أوطائفة من الناس (أَنْ اعْبُدُوا

الله) هذا ركن الإثبات (وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) هذا ركن النفي . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء] ، فإنها دالة على أن الله أرسل جميع النبيين بلا إله إلا الله .

قوله : ( قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَّبِعٍ أَوْ مُطَاعٍ) ابن القيم هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ، والقيّم هو المدير لأن أباه كان مديراً للمدرسة الجوزية وهو أجل تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيمية وله مؤلفات كثيرة . الطاغوت لغة: من الطغيان وهو مجاوزة الحد . وشرعاً : أحسن ما قيل فيه تعريف ابن القيم هذا ( مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَّبِعٍ أَوْ مُطَاعٍ ) ، و مِنْ بَيَانِيَّةٍ لِقَوْلِهِ : مَا تَجَاوَزَ . قوله : ( وَالطَّاغُوتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ) (إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ) هذا طاغوت بلا شك ؛ لأنه اعترض على الله بعقله ، وقال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين ، وغفل عن أنَّ السجودَ لآدمَ سجدٌ لله لأنه طاعةٌ لله ، وهل النار خير من الطين ؟! لا؛ فإن الطين موصوف بالسكون والرزانة بخلاف النار فإنها موصوفة بالطيش ، وإنَّ سلّم أنَّ الأصل خير من الأصل لا يلزم منه أن يكون الفرع خير من الفرع .

قال الشاعر : إن افتخرت بآباءٍ لهم نسبٌ \*\*\* قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

(وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ) لأنه قبلَ بإعطائه ما ليس حقاً له ( وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ ) وهذا شرٌّ من سابقه لأنه طلب أن يُعطى ما ليس حقاً له لذلك قال عيسى ابن مريم ﴿سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ [المائدة:116] . (وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ) لأنه ادَّعى شيئاً من خصائص الله جلَّ وعلا ، قال تعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل] . (وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ) "من" هنا اسم موصول تفيد العموم (بغير ما أنزل الله ) أيضاً "ما" اسم موصول يفيد العموم و(حَكَمَ) يعني أثبت أو نفى أمراً ما ، فالآية لا تختص بالحاكم بل تشمل كل أحد أثبت أو نفى أمراً ما بغير ما أنزل الله ، فكل مخالفة للشرع حكمٌ بغير ما أنزل الله ولا يكفر من أتى بمخالفة إلا إذا دلَّ الدليل على أن نفس المخالفة كفراً أكبر ، قال تعالى في ثلاثة مواضع من [سورة المائدة] : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [٤٤] ﴿وَمَنْ لَّمْ

يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٦﴾

فائدة : من هذه الآيات نجد أن الحكم بغير ما أنزل الله ليس على حكم واحد وليس الحكام فيه سواء .

للحكم بغير ما أنزل الله أربع حالات: مَنْ حَكَمَ بغير ما أنزل الله إما أن يكون مفضلاً أو مساوياً أو مستحلاً أو هائياً ، أما المفضل فيقول أو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله أفضل من حكم الله وهذا كافر كفوفاً أكبر بإجماع المسلمين وأما المساوي فيقول أو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله وحكم الله سواء وهذا أيضاً كافر كفوفاً أكبر وأما المستحل الذي يقول حكم الله لا أحسن منه ولا حكم يساويه لكن يجوز لي أن أحكم بغير ما أنزل الله فهذا كافر وأما الهاوي فهو الذي يعتقد أن الحكم بما أنزل الله لا أحسن منه ولا أفضل بل لا يوجد حكم يساويه أو يدانيه ولكن مع ذلك يحكم بغير ما أنزل الله هوى أو طمعاً أو خوفاً أو غير ذلك فهذا فاسق عاصٍ مخالف للشرع وهو على خطر عظيم لكنه لا يكفر كفوفاً يخرج به من الملة. أفادها العلامة ابن باز رحمه الله. قوله ( وَالدَّلِيلُ ) أي الدليل على أن الله افترض على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ( قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 256] ). (لا إكراه في الدين) لأهل العلم في هذه الآية توجيهان إما أن يقال أنها خاصة بأهل الكتاب أو أنها منسوخة بآيات الأمر بالقتال. (قد تبين الرشد من الغي) الرشد هو سلوك طريق الحق فهو يقتضي العلم مع العمل ، والغى سلوك طريق الضلالة مع العلم. (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) هذه الجملة اشتملت على ركبي التوحيد: النفي والإثبات ، لذلك قال المصنف بعد الآية : " وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " . (فقد استمسك بالعروة الوثقى ) أي: أن من أتى بهذين الركنين فقد استمسك بالحبل المتين وهو لا إله إلا الله (لا انفصام لها) أي لا ينقطع نفعها للمستمسك بها. ( والله سميع عليم) سميع بالأقوال عليم بالأفعال التي تنقض هذه الكلمة. وقوله : ( وَفِي الْحَدِيثِ : " رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " . ) هذه قطعة من حديث معاذ بن جبل الذي رواه [الترمذي] (رأس الأمر الإسلام) الأمر هنا: الشأن ، والإسلام المراد به: التوحيد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : "إنما الصورة الرأس فإذا انقطع الرأس فلا صورة" أي: إذا ذهب التوحيد فلا يبقى إسلام. (وعموده الصلاة) أي: أن الصلاة عمود الإسلام الذي يقوم عليه كما أن عمود البيت ما يقوم عليه فإذا سقط العمود انهدم البيت كذلك إذا ترك العبد الصلاة. واستدل بهذه الجملة من قال بكفر تارك الصلاة كفوفاً أكبر يُخْرِجُ من الملة. (وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) ذروة الشيء: أعلاه ، وسنام البعير ما يَدْنَحِرُ فيه غذاءه وماءه ، ومن هنا تعلم أن الجهاد به ظهور الإسلام وعلوه

، كما أنه مصدر من المصادر الاقتصادية للدولة الإسلامية وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم :  
"وجعل رزقي تحت ظلِّ رمحي " [أخرجه الإمام أحمد] من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله  
عنه .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. أصل هذا الشرح قِيَدَتْه قبل أكثر من عشرين  
سنة عن شيخني وأخي أبي عمر حاتم بن عز الدين لكني زدت وحذفت أسأل أن ينفعنا وأشياخنا  
والمسلمين بما علمنا .

تم في ضحى يوم الجمعة الثالث من ذي الحجة لعام ثمان وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية  
2017/8/25